أسس الجمال للمرأة الجاهلية من خلال معلقة امريء القيس

د . رفاه علي نعمه العزاوي

جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الانسانية

Aesthetic Basics for woman at per-Islamic Times, through Aumrou Al-Qais suspended poetry

Dr. RAFAH ALI NEEMAH AL-AZAWI
Babylon University / Education College for Humanities
raffahali13@gmail.com

Abstract

The Research studies reasons that led the pre-Islam poet to concentrate on descripting sensible aspect of the woman and neglecting the spiritual, moral and psychological ones, this made by practical application of Aumrou Al-Qais poetry and on Two Topics ,First topic studied the sensible aspects at pre-Islamic poetry and its materialistic perspective , Second Topic was detailed study for woman's body and her external attractions like neck , eye ,hair ,leg and fingers etc. the research reached to plastic depict of this woman and her appearance appears as statue which has no existent due to neglecting of the poet to the woman's emotions and her inner affection ,which reflected in negatively on her appearance since body aesthetic completed by soul aesthetic.

الملخص

يدرس البحث الاسباب التي تقف وراء اهتمام الشاعر الجاهلي في تصويره للجانب الحسي في المراه واهماله الجوانب المعنوية والنفسية والروحية , وذلك من خلال التطبيق العملي لمعلقة امريء القيس كانت الدراسة على مبحثين , درس المبحث الاول الجانب الحسي في الشعر الجاهلي والنظره المادية للاشياء , اما المبحث الثاني فكان دراسة تفصيلية لاجزاء جسد المراه ومحاسنها الخارجية كالعنق والعين والشعر والساق والاصابع ... الخ , وقد توصل البحث الى رسم تشكيلي الى هذه المراه وظهرت صورتها كأنه تمثال لاحياة فيه لان تجاهل الشاعر لمشاعر المراه وعواطفه الداخلية انعكس سلبا على صورتها لان جمال الجسد يكمله جمال الروح .

المقدمة

يمثل الشعر العربي في كل مرحلة من مراحل تاريخ العرب الواقع الاجتماعي و السياسي و الاقتصادي للمجتمع العربي في تلك المرحلة، ومن خلال التحليل و التدقيق في مضامين مجتمعنا العربي القديم نستطيع أن نتعرف على مكانة المرأة و نظرة المجتمع لها و إن كانت تلك المضامين هي في حقيقة الأمر تعبير عن رؤى الرجل للمرأة، بحكم إن أكثر ما وصلنا من شعر يدور حول موضوع المرأة هو لشعراء رجال .

احتلت المرأة بالنسبة للشاعر الجاهلي موضع القلب من الجسد وشكلت محوراً أساسياً في كيان قصيدته وكان لها الاهتمام و الحضور اللافت للنظر في النص الشعري ، إلا أن القصائد التي تناولت موضوع المرأة و استفرغت الكم الأكبر منها قد اقتصرت فقط على تصوير الجمال المادي للمرأة و ما تتمتع به من مفاتن خارجية كالخصر و العنق و الشعر والساق و العين ... الخ أي إن الطابع الحسي هو الذي طغى على صورة المرأة في عصر ما قبل الإسلام فكان هم الشاعر الأول هو تصوير هذا الجانب إما آفاقها النفسية و المعنوية و الروحية الاخرى فهو خارج حسبانه و بعيد عن اهتمامه وقصي عن تفكيره .

وحقيقة الأمر إن المرأة هي نصف المجتمع و هي ركيزة أساسية فيه ، و ثابتة من الثوابت التي لا يمكن لأي مجتمع من المجتمعات أن يتجاهلها ، و هي مشاركة للرجل في كل حال من الأحوال ، و في كل جانب من جوانب الحياة ، و مناصفة له أيضاً ، ويدخل ضمن ذلك الاستحقاق الاعتراف بامتلاكها العواطف والمشاعر وهي جزء من الحياة و

ضرورة من ضروراتها ، فان تناسى المجتمع هذا الأمر و غاب عن فكره و باله و أهمل تلك القضية ، عدّ ذلك المجتمع غير طبيعي و غير سوي و غير متوازن ولا متكامل ، و هذا الواقع ينطبق على المجتمع العربي قبل الإسلام ، ولذلك كان مجيء الإسلام ضرورة حتمية و حاجة ملحة بالنسبة لهذه القضية ليصحح فحواها و يحدد لها ثوابتها الخاصة بها و يضعها في مسارها الصحيح و إطارها العام المناسب لها .

وجاءت هذه الدراسة على مبحثين، درس المبحث الاول الجانب الحسي في الشعر الجاهلي وكيف كانت هذه النظرة الجاهلية مادية بحتة، اما المبحث الثاني فقد كان دراسة تفصيلية لاجزاء جسد المرأة ومحاسنها الخارجية كالعنق والعين والشعر والقوام والساق والاصابع .... الخ اما الطريقة التي اعتمدناها في دراسة هذه الاجزاء وتناولناها من حيث التقديم والتأخير فكانت بحسب ورودها في المعلقة، وبحسب ترتيب الابيات في الديوان ولان الملابس والزينة تعد من مكملات الجمال فقد ارتأينا ان تكونا في نهاية الدراسة

المبحث الأول

الحسية في الشعر الجاهلي

يقول يحيى الجبوري: ((إما المطالع الغزلية ففيها إحساس دقيق بالجمال، و تذوق لمحاسن المرأة، والقارئ لمشاهد الارتحال والفراق، يشعر بهزة من شوق وحنين لهذا الفراق، وحين تذكر المرأة، وتوصف محاسنها، نجد في هذا الشعر اقبالاً على الحياة و امتزاجاً بها وتعلقاً بمباهجها))[1] .

فالغزل من الفنون المهمة ومن الموضوعات البارزة في الشعر العربي، وهو من أعلق الفنون بالقلب وأقربها إلى طبيعة الإنسان، وقد لقي الغزل عناية كبيرة من الشعراء، سجلوا فيه عواطفهم و رغباتهم و خواطرهم و تناولوا موضوع المرأة فذكروا محاسنها وسحرها، و ما يفعله الشوق فيهم و الحنين إليها، (وهذا ما أكده معظم الباحثين إذ وجدوا إن أكثر أشعار العرب و أروع قصائدهم و ابرع آثارهم يتصل بالمرأة، و يصف حسنها و يشيد بجمالها، ويعلن الفرح لقربها و الألم والحزن على بعدها، و يذكر بتأثيرها على النفس) [2].

وقد وصف الجاهليون المرأة وصفاً حسياً مادياً، تنالوا فيه كل ما يتعلق بصفاتها الجسدية فضلاً عن ثيابها وزينتها وعطرها.

وكان الشاعر الجاهلي تفصيلياً ودقيقاً في تصوير ورسم الصفات الجسدية للمرأة العربية وتوضيح معالم مفاتنها، كما كان صريحاً وأميناً في توضيح إقباله الكبير، رغبته العارمة فيها، وقد أفصحت تلك الرغبة المادية الجسدية عن إهمال كبير للجوانب المعنوية والنفسية والروحية، والاقتصار في الوقوف على الجوانب السطحية وعدم التغلغل في الجوهر والولوج في الأعماق.

إن في إقبال الشعراء على المرأة و تغنيهم بها هو في الحقيقة تعبير غير مباشر عن تغنيهم بنعم الحياة وإقبالهم عليها، (إذ إننا نستطيع تلمس الأصل الذي صدرت عنه أعلى قيم الجاهلية و مثلها العليا الثلاث (المرأة، الخمرة، الفروسية) تلك القيم التي تعاور عليها الشعراء و أضفوا عليها هالة من التقديس، فحرصوا على الاتصاف بها) [3].

([1]) الشعر الجاهلي خصائصه و فنونه ، د. يحيى الجبوري ، ط6 ، 150 .

([2]) تاريخ آداب العرب ، د. مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1974م ، الجزء الثاني ، 286 .

([3]) صدى عشتار في الشعر الجاهلي، احسان الديك، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، المجلد 15، 2001، 187.

قال أمرؤ القيس[1] :

كأني لم أركب جواداً للذةٍ

ولم اتبطن كاعباً ذات خلخال

ولم اسبأ الزق الروي ولم اقل

لخيلي كري كرة بعد إجفال

وقال طرفة بن العبد[2] :

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى

وجدك لم احفل متى قام عودي

فَمِنْهُنَّ سَبْقي العاذِلات بِشَرْبَةٍ

كُمَيْتٍ متى ما تُعْلَ بالماءِ تُزبِدِ

وكرِّي إذا نادى المُضاف محنباً

كَسيدِ الغَضا نَبَّهْتَهُ المُتَوَرِّدِ

وتَقْصير يوْمِ الدَّجْنِ و الدَّجْنُ مُعْجِبُ

بِبَهْكَنةٍ تَحْتَ الخِباءِ المُعَمَّدِ

و المجتمع العربي –مع كثرة الفراغ–كان يخلو من وسائل اللهو و المتعة و التسلية الا من الخروج الى الصيد، أو الاختلاف إلى الحانات لشرب الخمر، أو تتبع المرأة للهو بها[3].

وعندما وصف الشاعر الجاهلي الصورة الخارجية، كان صريحاً في وصفه وحديثه وفي عرضه لمفاتنها الجسمية، بل كان يفتن في وصف الأعضاء المستورة كالنحر والروادف والكشح والبطن والساقين وغيرها ولا يجدون في ذلك حرجاً،

([1]) ديوان أمريء القيس .143

([2]) ديوان طرفة .63–64

([3]) مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، د. حسين عطوان ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، د.ت ، 62.

ولعل لطبيعة حياتهم البسيطة الصريحة التي لا تعرف التغطية و الحياء الكاذب المصنوع أثراً في هذا الإقبال على الغزل الحسي الصريح ، فالشاعر يجد في عرض هذه المفاتن لذة و متنفساً لعواطفه و غرائزه[1] .

و على الرغم من إيماننا بأن الشعر الأرقى يتجاوز عالم الحس ، و يستشف العالم اللا منظور ، ويصل إلى وحدة الوجود ، إلا أن الشعر لا ينجح إلا إذا نجح في تفسير العالم اللا مادي و جعله في أشكال محسوسة بآذاننا في التركيب اللفظي, ونبصرها بمخيلتنا البصرية, لأن الفن مهما يكن من روحانية نظرته قائم كله على نقل غير المحسوس إلى عالم المحسوس و ترجمة الخواطر و الهواجس و الرؤى و المثل إلى ما يدرك بالإحساسات الخمسة[2] .

تقول الكاتبة الانكليزية إليزابيث درو : ((ان الشعر يشيع الحياة في الانسان)) ، وقال بيتس: ((انه دم و خيال وفكر يتدفق معاً)) ، وقال أيضا : ((انه يدفعنا لنلمس العالم و نتذوقه و نسمعه و نراه))[3] .

وهنا وصف امرؤ القيس كل ما شاهد من حبيبته أو لمس فهي لطيفة الكشح مملوءة الساقين ضامرة البطن ، بيضاء صافية اللون ، صدرها صقيل متلالىء كالمرآة الصافية ، أسيلة الخدين واسعة العينين ، طويلة العنق ، شعرها طويل فاحم ، ناعمة الأصابع دقيقة البنان ، وهي طويلة القد ، مديدة القامة[4] .

وواضح إن هذه الصفات التي جسدها الشاعر ، تؤلف فيما بينها (امرأة انموذج و مثال) ، افتتن بها و لأجلها جازف ، أو بتعبير آخر ، إنها تمثل إحدى لذاته التي حرص على رسمها في غزله[5] .

وتشكل هذه الصفات جميعاً خاصية ملازمة للنفس البدائية التي تعنى بالجزء في حدوده الخاصة به .

ومن ثم أصبحت المرأة حقلاً مثمراً يانعاً ، وهي صورة لعلاقات منظورة تبدو فيها المرأة مترفة مدللة قد جرى في عودها النماء و الخصب .

فهو يوحي لنا انه يتحدث عن المرأة الخصبة من دون سواها من النساء فهو يدقق في تصويرها ويستعير لها التشبيه الحسي الذي يجعلها أكثر جسامة و بهاءً ، فالخصر ضامر و الساقان ممتلئتان لا رهله و لا مسترخية البطن[6] .

يصدر امرؤ القيس في علاقته مع المرأة عن غريزة طاغية تهمها المرأة بوصفها أنثى كاملة ، جنسياً ، هكذا يقدم لنا صورتها الأنثوية الجسدية بشكلها الأكمل . ولا يعني بأن يقدم لنا صورة عن نفسيتها أو عالمها الداخلي[7] ، فلم يتغلغل في أغوار نفس المرأة و يتعرف خفاياها ولم يصف عواطف حبيبته و إشراقها –إلا نادراً– بل وصفها وصفاً خارجياً ، ومن فوائد هذه النزعة أنها جعلت الشاعر يدقق في موضوعاته و يفصل أوصافها و يولد في معانيها فيصب المعنى الواحد في صور مختلفة و نماذج جديدة[8] .

إن المرأة بالنسبة لامريء القيس لا تمثل سوى المتعة الحسية و إشباع الغرائز ، وقد صور لنا المرأة على إنها متاع ، و إنها فتنة[9] ، فهي وسيلة ، وشيء يمتلك ، أي إنها شيء يستهلك تجسد هذه النظرة الملكية الخاصة ، بمظهرها

([1]) الشعر الجاهلي خصائصه و فنونه : 171.

([2]) الشعر الجاهلي منهج دراسته و تقويمه ، د. محمد النويهي ، الدار القومية للطباعة و النشر ، القاهرة ، د.ت ، 366–367 .

([3]) الشعر كيف نفهمه و نتذوقه ، اليزابيث درو ، ترجمة الدكتور محمد ابراهيم الشوش ، بيروت ، 1961م ، 39 .

([4]) الشعر الجاهلي خصائصه و فنونه : 166 .

([5]) الأدب الجاهلي، د. سامي يوسف ابو زايد، د. منذر ذيب كفافي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2011م، 130.

([6]) شعر الجاهلية و شعراؤها ، د. قصي الحسين ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس ، لبنان ، ط1 ، 2006 ، 340 .

([7]) كلام البريات ، ادونيس ، ط1 ، 1989م ، 46–47.

([8]) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه : 131–132.

([9]) جدلية القيم في الشعر الجاهلي ، د. بو جمعة بوبعيو ، اتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، 2001م ، 41.

الأكثر حدية و بدائية ، لا نرى إن شيئاً يخصنا إلاّ حين نمتلكه . هكذا يحل محل التعاطف الإنساني أو الحب ، الشعور بالامتلاك . و الرجل حين يمتلك المرأة يشعر كأنه امتلك الطبيعة .

ويمكن القول ان أمرأ القيس كان رائد الشعراء الجاهليين في هذه النظرة حتى استقام له أن يصبح طليعياً في هذا المنهج الحسي ، حتى يمكن وصفه بإمام الجماليات الحسية في الشعر العربي[1] .

و إذا انعمنا النظر في الملامح الجسدية و الأسس الجمالية للمرأة العربية وبحسب ما وردت في معلقة امريء القيس نجده يصفها بأوصاف عرض من خلالها رؤيته للنموذج الجمالي الذي يفضله ويعده المثال وذلك في قوله :

وكَشْحٍ لَطِيفٍ كَالجَدِيْلِ مُخَصّرٍ

وسَاقٍ كَأُنْبُوبِ السّقِيِّ المُذَلَّلِ

وتَعْطُو بِرَخْصٍ غَيْرَ شَثْنٍ كَأَنَّهُ

أَسَارِيْعُ ظَبْيٍ أَوْ مَسَاوِيْكُ إسْحلِ

كَبِكْرِ المُقَانَاةِ البَيَاضِ بِصُفْرَةٍ

غَذَاهَا نَمِيْرُ المَاءِ غَيْرُ المُحَلَّلِ

إِلَى مِثْلِهَا يَرْنُو الحَلِيْمُ صَبَابَةً

إِذَا مَا اسْبَكَرّتْ بَيْنَ دِرْعٍ ومِجْوَلِ

هَصَرْتُ بِفَوْدَيْ رَأْسِهَا فَتَمَايَلَتْ

عَلَيَّ هَضِيْمَ الكَشْحِ رَيَّا المُخَلْخَلِ

مُهَفْهَفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ

تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسّجَنْجَلِ

تَصُدُّ وتُبْدِي عَنْ أَسِيْلٍ وَتَتَّقي

بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ

([1]) الديوان : 115–116.

وجِيْدٍ كَجِيْدِ الرِّئمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ

إذَا هِيَ نَصّتْهُ وَلاَ بِمُعَطَّلِ

وفَرْعٍ يَزِيْنُ المَتْنَ أسْوَدَ فَاحِمٍ

أثِيْثٍ كَقِنْوِ النَّخْلَةِ المُتَعَثْكِلِ

غَدَاتِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إلَى العُلا

تَضلُّ المدارى فِي مُثَنَّى وَمُرْسَلِ

المبحث الثاني

أعضاء الجسد القوام (الخصر، الطول)

مُهَفْهَفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ

تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجَنْجَلِ[1]

يقول ابن النحاس: ((المهفهفة)): الحسنة الخلق، ولا تكون مهفهفة حتى تكون مع حسنها ضامرة الخاصرة و(المفاضة)): المسترخية البطن، كأنه في قولهم: حديث مستفيض، وقال ابو عبيدة : ((المفاضة)) الطويلة البائنة الطول، وأصل هذه الصفة ، للدرع ، وهي في الدرع مدح[2] .

وقال أيضاً:

وكَشْحٍ لَطِيفٍ كَالجَدِيْلِ مُخَصَّرٍ

وسَاقٍ كَأُنْبُوبِ السَّقِيِّ المُذَلَّلِ[3]

وخصر هذه المرأة ليس لطيفاً فحسب انما دقيقاً يحاكي في دقته الخطام الذي يتخذ من الجلد أو إن المخصّر: الدقيق الوسط وهو صفة للكشح. فقد أحب العرب من الخصور الضامر، النحيل والناعم، كما أحبوا المرأة الطويلة الظاهرة الطول.

([1]) الديوان : 115.

([2]) شرح القصائد السبع الطوال : 22.

([3]) المصدر نفسه: 116.

الساق

وكَشْحٍ[*] لَطِيفٍ كَالجَدِيْلِ مُخَصَّرٍ

وسَاقٍ كَأُنْبُوبِ السَقِيِّ المُذَلَّلِ[4]

وساق هذه المرأة ناعمة بيضاء تحاكي في صفاء لونها ونعومتها ولين بشرتها انبوب بردي مسقي مذلل بالارواء. وقد شبه ساقها بالبردي وقد سقي بالماء حتى يطاوع كل من مد اليه يده[1]. وعمد الى وصف ساقها ببردي بين نخيل تظله اغصانها وشرط ذلك ليكون اصفى لوناً و انقى رونقاً[2].

والمذلل فيه اقوال، انه الذي سقي و ذلل بالماء، او انه الذي تفيئه الرياح لنعمته ولينه وقال الله (ﷻ): ﴿وذللت قطوفها تذليلا﴾[3]، اما القول الثالث فيقال: نخل مذلل، اذا امتدت افناؤه واستوت[4] .

وقال أيضاً:

هَصَرْتُ بِفَوْدَيْ رَأْسِهَا فَتَمَايَلَتْ

عَلَيَّ هَضِيْمَ الكَشْحِ رَيَّا المُخَلْخَلِ[5]

أي ممتلئة ومكتنزة لحماً في موضع الخلخال، والخلخال من الحلية تلبسه المرأة في ساقها فيضفي على الساق الكثير من الروعة والجمال والجاذبية.

الأصابع:

وتَعْطُو بِرَخْصٍ غير شَثْنٍ كَأَنَّهُ

أَسَارِيْعُ ظَبْيٍ أَوْ مَسَاوِيْكُ إِسْحِلِ[6][*]

أي انها تتناول الاشياء بأنامل طرية غضة غير غليظة ولا خشنة كأن تلك الانامل ديدان تلك البئية التي عرفت بلينها و نعومتها، و كثيراً ما شبه الشاعر الجاهلي المرأة باشياء واقعية موجودة في بيئته لقرب هذه الاشياء من حواسه، فهو يشبه ما هو حسي بما هو حسي ايضاً لتكون الصورة حسية بأكملها، ثم يشبه هذه الاصابع تشبيهاً حسياً آخر وهو مساويك

---

[*] الكشح: الخصر، اللطيف: الصغير الضامر، الجديل: زمام يتخذ من السيور فيجدل فيجيء حسناً ليناً.

(4) المصدر نفسه:116

([1]) شرح الأشعار الستة الجاهلية: 90.

([2]) شرح المعلقات السبع : 20 .

([3]) سورة الإنسان ، الآية : 14.

([4]) شرح القصائد المشهورات: 25.

([5]) الديوان : 116.

([6]) م.ن : 116.

(*) تعطو : تناول ، الرخص : الناعم ، غير شثن : غير جاف غليظ ، ظبي : موضع بعينه ، اساريع : دواب تكون في الرمل ، الاسحل : شجرة دقيقة الاغصان.

(اسحل)، وهي شجرة دقيقة الاغصان وفيها استواء يتخذ من عروقها مساويك كالآراك، وقد شبه اصابع المرأة بها من حيث الدقة والاستواء.

اللون

احتفى العرب باللون الابيض و كلف الشعراء به، و استخدموه في اشعارهم اكثر من غيره من الألوان، واخذوا منه صفات الرفعة و السمو و الطهر والنقاء، فوصفوا به وجوه الشخصيات الانسانية التي كانت موضع اجلال و تقديس في مجتمعهم كالملوك و السادة والأبطال[1]. كما وصف الرجل المثال باللون الابيض، كذلك وصفت المرأة الحسناء بالبياض ولاسيما المائل الى الصفرة.

يقول امرؤ القيس:

مُهَفْهَفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ

تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجَنْجَلِ

كَبِكْرِ المُقَانَاةِ البياض بِصُفْرَةٍ

غَذَاهَا نَمِيْرُ المَاءِ غَيْرُ المُحَلَّلِ[2]

والبكر اول بيضة تبيضها النعامة، و المقاناة: المخالطة، التي قُونَى بياضها بصفرة، أي خلط بياضها بصفرة. و اراد بالمقاناة –ههنا–المشاكلة؛ أي بيضة مخلوط ببياضها بصفرةٍ، يعني بيضة النعامة الاولى[3] .

و المقصود هنا ان لون هذه المرأة كلون بيضة النعامة المخلوط بياضها بصفرة، و أحسن ألوان النساء عند العرب بياض مشوب بصفرة[4] .

العمر :

إِلَى مِثْلِهَا يَرْنُوالحَلِيْمُ صَبَابَةً

إِذَا مَا اسْبَكَرَتْ بَيْنَ دِرْعٍ ومِجْوَلِ[5](*)

وفي هذه الصورة يوضح لنا الشاعر عمر هذه المرأة فيقول ان هذه الحسناء امتدت قامتها وتمت، واكتمل عمرها أي وصلت الى مرحلة النضوج الجسدي والعقلي فهي في مقتبل شبابها وفي ربيع عمرها. لذلك يتشوق العاقل ذو الاناة

([1]) صدى عشتار : 261.

([2]) الديوان : 115–116.

([3]) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات : 94.

([4]) كتاب نهاية الأرب من شرح معلقات العرب : 17 .

([5]) الديوان : 115 .

(*) يرنو : يديم النظر و يدمن .

اسبكرت امتدت وتمت، المسبكر: التام الممتليء. يقال قد اسبكرت المرأة، اذا تم شبابها، بين درع و مجول: اي ان سنها بين من يلبس الدرع و بين من يلبس المجول والمجول: دُريع حفيف؛ تجول فيه الصبية، الصبابة : رقة الشوق .

والحلم الى النظر اليها بل يستديم نظره و يدمن بصره في نظراته الى تلك المرأة مع سكون الطرف وانشغال القلب والبصر وغلبة الهوى والشوق .

فنحن نجد في هذه النظرة خشوع و استكانة و رقة شوق بسبب الوجد بها .

ثم يحدد لنا عمر هذه المرأة فيقول ان سنها بين من تلبس الدرع وبين من تلبس المجول، والدرع قميص المرأة الكبيرة، في حين ان المجول هو قميص المرأة الصغيرة، فقد شبهها بمن هي بين هذين. أي هي ليست بصبية صغيرة السن غير مكتملة النضوج وغير مدركة، فلم ترق بعد الى مرحلة الشباب، ولا من النساء اللواتي دخلن في السن وابتعدن عن مرحلة الشباب والحيوية وخرجن من ربيع العمر، انما هي شابة يافعة كزهرة بانعة بين هاتين المرحلتين.

العنق :

حاز العنق على اهتمام الشعراء بوصفه ركن من أركان الجاذبية وعمود من أعمدة الجمال، فنظرة العربي لجسد المرأة الجميلة ترتكز على عنقها الناعم الأملس. وفي ذلك يقول امرؤ القيس:

وجِيْدٍ كَجِيْدِ الرِّئمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ

إِذَا هِيَ نَصّتْهُ وَلاَ بِمُعَطَّلِ[1]

أي تظهر لنا هذه المرأة عنقاً جميلاً يحاكي في جماله و بهائه عنق الظبي في حسنه و مظهره، وهذا العنق لا يتجاوز الطول المحمود أي لا يبدو فاحش الطول حين ترفعه و تظهره ولا يخلو من الحلي و الزينة .

ويقول في بيت آخر:

مُهَفْهَفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ

تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسّجَنْجَلِ[2]

((والترائب)): جمع تربية، وهو موضع القلادة من الصدر، قال الله (ﷻ): ﴿يخرج من بين الصلب والترائب﴾[3]، وكلمة ((سجنجل)) هي كلمة رومية عربتها العرب، تعني المرآة وهي أيضاً قطع الفضة وسبائكها، ويقال السجنجل: الزعفران ، ويقال ماء الذهب و الزعفران[4]. أي إن صدر المرأة يبرق كبريق المرآة لشدة بياضه ولمعانه.

العينان:

إن لعيون المرأة تأثيرها الساحر على عقل الرجل وقلبه ومشاعره، وذلك لان العين تتمتع بأنقى الإحساسات ويتجمع فيها كل مشاعر النفس البشرية، ويستطيع الإنسان أن يعبر من خلال العين عن مشاعره من دون الحاجة الى استعمال اللغة أفضل تعبير، فالعين تعكس كل العواطف من حزن وألم وما يناقضهما من فرح وسعادة.

وأجمل العيون عند العرب ما كانت واسعة سوداء، وفي ذلك يقول أمرؤ القيس:

تَصُدُّ وتُبْدِي عَنْ أَسِيْلٍ وَتَتَّقِي بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ[1]

([1]) الديوان : 115.

([2]) المصدر نفسه : 115.

([3]) الطارق ، 7.

([4]) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات : 84 .

فهو يشبه عيون المرأة بعيون الظبية، ويقارن ما هو مادي بما هو مادي أيضاً، و موجود امام نظره في بيئته، ثم ان عيون هذه المرأة لا تشبه عيني الظبية من حيث الجمال و السعة و السحر الآخاذ الذي تتمتع به عيون الظباء انما اضفى لهذه الظباء صفة (مطفل) أي التي لها اطفال (وخصهن لنظرهن الى اولادهن بالعطف و الشفقة و هي احسن عيوناً في تلك الحال منهن في سائر الاحوال)[2] . أي انها ليست جميلة العينين فحسب، بل تتصف نظراتها تلك بالحنان والشفقة والرقة والبراءة، ولما تمتلكه عيناها من هذا السحر وهذا التأثير الكبير لا يمكن للمرء من النظر اليها اذا قابلته بوجهها لان عيونها تحول بينه و بين ذلك لشدة تأثيرها على القلوب[3].

الخـد:

تصد وتبدي عن اسيل وتتقي

بناظرة من وحش وجرةٌ مُطفل[4]

وقوله :(وتبدي عن اسيل), تقدير الكلام, عن خد أسيل, ثم قام صفه مقام الموصوف[5] . يقول الزوزني والاسالة: امتداد وطول في الخد [6]، وخد اسيل، أي ليس بكز و (الكز) القبيح الذي لا ينبسط [7]، أي يريد ان يقول ان خد هذه المرأة سهل وطويل كما انه ناعم واملس

الشعر:

وشعر هذه المرأة طويل تام فاحم شديد السواد يزين ظهرها اذا ارسلته عليه وهو يشبه عذق النخلة الذي قد دخل بعضه في بعض لكثرته، اما خصله فبعضها مرفوعات الى اعلى في حين ترك بعضها الآخر على استرساله. وذلك في قوله :

وفَرْعٍ يَزِيْنُ المَتْنَ أسْوَدَ فَاحِمٍ

أثِيْثٍ كَقِنْوِ النَّخْلَةِ المُتَعَثْكِلِ

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إلَى العُلا

تَضِلُّ المدارى فِي مُثَنًّى وَمُرْسَلِ[8]

([1]) الديوان : 115.

([2]) شرح المعلقات السبع : 19.

([3]) شرح الأشعار الستة الجاهلية : 18.

(4) الديوان: 115.

(3)[/] شرح القصائد المشهورات: 22

(6)شرح المعلقات السبع: 18

(7) شرح القصائد السبع الطوال:84

([8]) الديوان : 115–116.

وكلمة ((مستشزرات)) كلمة ثقيلة على اللسان متنافرة الحروف و صعبة في النطق، وهي من الكلمات الغريبة, وهذا ما يعبر عنه اهل البيان و يؤكده اهل اللغة ، ومع ذلك فقد مال الشاعر الى استعمالها و فضلها ولم يعدل الى غيرها من الكلمات الأخرى التي تعبر عن المعنى ذاته .

ونحن نعتقد إن الشاعر وفق كثيراً في استعماله لهذه الكلمة، وقد اعطت للصورة الشعرية روعة و انسجاماً لما تمتلكه حروف هذه الكلمة من طاقة ايقاعية كبيرة ومعبرة، أي انه استثمر من هذه الكلمة ما تتمتع به من موسيقى واصوات استطاعت ان تعبر عن المعنى الذي قصده بشكل واضح و دقيق و بذلك حصلت المواءمة بين كلمة مستشزرات والصورة التي ارادها الشاعر لشعر هذه المرأة .

الملابس :

خرجت بها أَمْشي تجرُّ وراءنا

على أثْرَيْنا ذيلَ مِرْط مرحل[1]

و المرط هو كساء من صوف او خز، ويبدو ان ذيله كان طويلاً ينسحب على الارض، و كانت الملابس تسمى باسماء دالة على نقوشها. و المرحل: ضرب من البرود، ويقال لوشيه: الترحيل، و يقال المرحل: المُعْلم بأعلام كالرِّحال[2]، اي المنقش بنقوش تشبه رحال الإبل .

الزينة :

كلفت المرأة بالحلي والزينة في كل بيئة وفي كل عصر تضيف الى جمالها جملاً، وتزهو بها وتتفاخر، وتخلب ألباب الرجال، وقلما نرى جسدها عاطلاً من حليها، وان استغنت عن هذه الزينة بجمالها الباهر ومكانتها الاجتماعية الرفيعة.

قال امرؤ القيس :

وجِيْدٍ كَجِيْدِ الرِّئمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ

إِذَا هِيَ نَصتْهُ وَلاَ بِمُعَطَّلِ[3]

فجيد هذه المرأة غير معطل، أي انها تلبس الحلي في عنقها وهي القلادة وقد تكون هذه القلادة او العقد من الذهب او الياقوت او الشذر او اللؤلؤ.

فالشاعر هنا فنان ومعبر ورسام رسم لنا صورة فيها الكثير من الروعة والجمال فترائب هذه المرأة مصقولة كالمرآة، وجيدها كجيد الغزال الحسن المنظر كما اضفت القلادة وهي من ادوات الزينة ومن مكملات الجمال الكثير من الحسن والبهاء والرونق اليها.

([1]) المصدر نفسه : 114.

([2]) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات : 79.

([3]) المصدر نفسه : 115.

وقال أيضاً:

هَصَرْتُ بِفَوْدَيْ رَأْسِهَا فَتَمَايَلَتْ

عَلَيَّ هَضِيْمَ الكَشْحِ رَيَّا المُخَلْخَلِ[1]

كذلك فهي تلبس الخلخال في ساقها، وهو من ادوات الزينة أيضاً لكي يخلب الالباب ويزيد جمالها حسناً وسحراً وجاذبية.

الخاتمة

من خلال ما سبق يمكننا الوصول الى النتائج التالية:

1- ان صورة المرأة في هذا النص الشعري هي صورة حسية مادية تهتم بأوصاف المرأة الخارجية ولا ترقى الى التوغل في اعماق عوالمها الداخلية.

2- لم يفِ الشاعر صورة المرأة ويكملها بل مال الى تجزئتها فالمرأة ليست جسداً وصفاتاً مادية فقط انما هي كائن بشري تتمتع بصفات خارجية واخرى داخلية كالفكر والعواطف والرؤى والاهداف.

3- يرمي الشاعر من خلال هذه الاوصاف الى تصوير المرأة المثالية وهي المرأة (التمثال) عند اصحاب فن النحت، الذين جسموا جسد المرأة.

4- ان من أخرج الفن ومنه الشعر من مذبحة الحس ومتطلباته المباشرة هو الاسلام، ذلك لان الاسلام هو من اعطى المرأة مكانة سامية ومنحها قيمة عليا وترفع بها ان تكون جسداً فحسب واصبحت المرأة في ظل الاسلام كائناً روحانياً وقيمة انسانية عليا. وهذا من الامور المنطقية لان الفكر والنظر والتأمل كلها يأتي في مرحلة لاحقة للاحساس، والاسلام هو دين العقل والفكر والتدبر والتأمل.

5- ان في تجاهل الشاعر لمشاعر المرأة وعواطفها الداخلية انعكاس كبير على صورتها الخارجية فمن خلال الرسم التشكيلي للصفات التي منحها الشاعر لهذه المرأة بدت صورتها كأنها تمثال او دمية لا حياة فيها، وقد بهتت معالم الجمال فيها، لان جمال الجسد يكمله جمال الروح ولم نعرف شيئاً عن روح هذه المرأة.

المصادر والمراجع

أ- الكتب .

- القرآن الكريم .

1- الأدب الجاهلي، د. سامي يوسف ابو زايد، د. منذر ذيب كفافي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2011م .

2- تاريخ آداب العرب، د. مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1974م .

3- جدلية القيم في الشعر الجاهلي، د. بو جمعة بوبعيو، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2001م .

4- ديوان امريء القيس، ضبطه وصححه الاستاذ مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

5- ديوان طرفة بن العبد، تقديم وشرح عبد القادر محمد مايو، مراجعة احمد عبد الله فرهود، دار القلم العربي، سورية، 1999م.

(1) الديوان : 115.

6- شرح الاشعار الستة الجاهلية، للوزير ابي بكر عاصم بن ايوب البطليوسي، تحقيق: ناصيف سليمان عواد، 1968م .
7- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لأبي بكر محمد بن القاسم الانباري، ضبطه بركات يوسف هبود، المكتبة العصرية، بيروت، 2005م .
8- شرح القصائد المشهورات الموسوعة بالمعلقات صنعه ابن النحاس أبي جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل بن يونس المرادي النحوي، دار الكتب العلمية، بيروت.
9- شرح المعلقات السبع للإمام الأديب القاضي المحقق ابن عبد الله الحسين بن احمد بن الحسين الزوزني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2005م.
10- الشعر الجاهلي خصائصه و فنونه، د. يحيى الجبوري، ط6 .
11- الشعر الجاهلي منهج في دراسته و تقويمه، د. محمد النويهي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.
12- شعر الجاهلية و شعراؤها، د. قصي الحسين، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس ، لبنان ، 2006م .
13- الشعر كيف نفهمه و نتذوقه، اليزابيث درو، ترجمة الدكتور محمد ابراهيم الشوش، بيروت، 1961م .
14- كتاب نهاية الأرب من شرح معلقات العرب، السيد محمد بدر الدين ابي فراس النعساني الحلبي، 1906م.
15- كلام البدايات، ادونيس، 1989م .

ب- الدوريات

- صدى عشتار في الشعر الجاهلي، احسان الديك، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2001م.